الكلية: كلية الآداب

القسم أو الفرع: قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة: أ.م.د. بشير صباح عواد

اسم المادة: الدويلات الاسلامية في المغرب .

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic states in Morocco

اسم المحاضرة باللغة العربية: دولة الأدارسة (١٧٢– ٣٦٣هـ / ٩٧٤ – ٩٨٨م) .

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية: Idrisid State (172–363 AH / 974–988 AD)

دولة الأدارسة (١٧٢– ٣٦٣هـ / ٩٧٤ – ٩٨٨م)

تُعد دولة الأدارسة أول دولة علويّة هاشميّة في التاريخ الإسلاميّ، وترجع نسبة الدولة إلى المؤسس إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو الذي فرَّ إلى مصر مع مولاه راشد، ثمَّ هربوا إلى المغرب الأقصى، وكان هروبهم من أجل الابتعاد عن العباسيين؛ وذلك بعد تمكّن العباسيون من القضاء على ثورة الحسين بن علي بن الحسن في معركة فخ.

والأدارسة هي أول السلالات الإسلاميّة المستقلة في بلاد المغرب في المدة الواقعة من (٧٨٨–٩٧٤ م)، واتخذوا مدينة وليلي مقرهم الأول، وبعد ذلك اتخذوا من مدينة فاس مقرًا لهم.

النفوذ الإدريسيّ:

قسم محمد بن إدريس دولة الأدارسة إلى عدة ولايات بين إخوته، أهمها الآتي:

١- **ولاية محمد بن إدريس:** فاس وناحيتها.

٢- **ولاية القاسم بن إدريس:** طنجة، وسبتة، وقلعة حجر النسر، وتطوان، وبلاد مصمودة، وما جاورها.

٣- **ولاية عيسى بن إدريس:** شالة، وسلا، وأزمور، وتامسنا.

٤- **ولاية يحيى بن إدريس:** البصرة، وأصيلا، والعرائش إلى بلاد ورغة.

٥- **ولاية عمر بن إدريس:** مدينة تيكساس، ومدينة ترغة، وبلاد صنهاجة، وغمارة. كما امتدت هذه الولايات على امتداد الدولة الإدريسيّة، في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

جهود ادريس العسكرية في تثبيت الدولة:

توجهت العمليات العسكرية الاولى لادريس الاول نحو بلاد تامسنا ،التي تقع في البسيط الممتد من وادي ابي رقراق الى وادي ام الربيع .فافتتح مدينة شالة ،وهي مدينة سلا القديمة ،التي تقع قبالة مدينة الرباط الحالية على الضفة الثانية من مصب نهر ابي رقراق.

ثم اخضع كل حصون تامسنا التي تميزت بوجود انحرافات خطيرة ،تبنتها قبيلة برغواطة البربرية، التي سكنت في هذا الاقليم .

وقد اعقب ذلك بإخضاع مناطق تادلا التي تقع الى الشرق من اغمات .وكان اكثر سكان هذه البلاد يدينون بالنصرانية واليهودية ، والاسلام فيها قليل ،فاعتنق عدد كبير منهم الاسلام على يديه.

ثم رجع ادريس الى مدينة وليلي ليريح جيوشه ، وذلك في سنة ١٧٢هـ، فأقام بها الى بداية سنة ١٧٣هـ، ثم خرج مرة اخرى لقتال السكان المحليين المتحصنين بالمعاقل المنيعة بالقرب من منطقة فاس وتطوان ،لاسيما حصون قندلاوة، وصدينة، ومديونة، وفازاز، وقد عاد بعد ذلك الى مقره في مدينة وليلي في جمادي الثانية ١٧٣هـ.

لم يبقى ادريس في وليلي فترة طويلة ،بل خرج منها بعد نحو شهر واحد تقريبا متجها نحو تلمسان في المغرب الاوسط .وكانت تسكن في هذه المدينة قبيلتان كبيرتان من زناته، هما مغراوة وبن يفرن، ويبدو ان السيادة كانت للقبيلة الاولى ،التي يتزعمها محمد بن خزر المغراوي الخزري .

وقد اعلن هذا الزعيم عن رغبته في الانضمام الى بيعة ادريس ، هو ومن معه من قبائل زناته ،فدخل ادريس الاول المدينة صلحا ، وامن اهلها ، وبنى مسجدها في شهر صفر ١٧٤هـ .

البناء والعمران في المغرب:

أنشأ الأدارسة عددًا من المدن والمباني في المغرب، ومنها ما يأتي:

١- **مدينة فاس:** تقع على مقربة من وادي فاس، وتتميز بموقعها القريب من الريف، والمغرب الشرقيّ، والمحيط الأطلسي، ويُشار أنَّ المدينة شهدت مشروعان من مشاريع إدريس الثاني، وهما: بناء المدينة عند سفح جبل زلغ؛ إذ حطّم السيل الأبنيّة والمزارع، والمشروع الآخر هو بناؤها عند وادي سبو، ولكن تعرّضت للدمار بفعل السيول، وأعيد بناؤها للمرة الثالثة، وبني فيها جامع الأشياخ، ومسجد الشرفاء، وأنشئت فنادق للتجار، وحمامات، ومرافق مختلفة.

٢- **مدينة البصرة:** تم بناؤها في منتصف القرن الثالث الهجريّ، وتقع بين أصيلا والعرائش، وتبعد عن البحر، وكان أول من تولى أمرها هو إبراهيم بن القاسم بن إدريس، ويُذكر أنَّها كانت تُعرف باسم بصرة الكتان، وقد تعرضت للخراب في زمن باكر.

٣- **مدينة جراوة:** تقع في الجزء الشماليّ الشرقيّ من المغرب، وبناها إدريس بن محمد بن سليمان، وكانت تحتوي على جامع من خمس بلاطات، وعلى خمسة حمامات، وكان لها أربعة أبواب.

٤- **قلعة حجر النسر:** بُنيت في الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من البصرة، وعلى يد إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس، ولا تزال أنقاضها موجودة إلى الآن.

٦- **جامعة القرويين:** تعتبر جامعة القرويين من أهم ما تركه الأدارسة، وتنسب إلى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهريّ، وهو أحد العرب الذين هاجروا من القيروان، ولقد بنيت هذه الجامعة من المال الذي ورثته عن أبيها .

الحياة الفكرية في عهد الأدارسة:

لا يمكننا أن نبتعد عن جامع القرويين حينما نتحدث عن الحياة الفكرية في عهد الأدارسة، فقد كان هذا الجامع محور الحياة الفكرية في مدينة فاس، بل في المغرب الأقصى كله. فهو يعد القلب والعصب والروح والبصر لمدينة فاس، لقد كان تقدم اقتصادي وازدهار صناعي ورقى اجتماعي مرتبطاً بالعلم والثقافة. ولم يكن من مركز يمثل ذلك العلم. وتلك الثقافة في فاس إلا جامع القرويين.

وإذا أردنا أن نسأل عن الوقت الذي ابتدأت فيه دراسة العلم بالقرويين يكون جوابنا أنه الوقت الذي بدأت الصلاة فيه، لأنه لا فرق بين الصلاة والعلم والدراسة في نظر الإسلام ، ويعرف ذلك كل من له صلة بدراسة تاريخ المساجد. لأن العادة جرت منذ أيام الإسلام الأولى أن يتخذ المسجد الذي تقام فيه الصلاة مركزا للتعليم والتثقيف، كما يتخذ مجلسا لمناقشة الشؤون السياسية ومحاكم لتثبيت الحقوق، ولهذا فإن العلماء الذين وضعوا قبلة القرويين كانوا أول من درس فيه، وبنوا العلم والمعرفة لاسيما وأن تأسيس هذا المسجد كان في أيام الأمير يحيى بن محمد. الذي انتشر العمران في فاس على عهده ورحل إليه الناس من المشرق والقيروان والأندلس، ومن المرجح أن يكون من أوائل الذين عقدوا مجالس علمية حافلة في القيروان هو الحافظ الثقة الشاعر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي الذي ورد على فاس باستدعاء من الأمير أحمد ابن القاسم بن إدريس الذي كان على سابق معرفة به، وتجمعهما رابطة العلم والأدب وقد عرف بمجالسه سواء في بلده. أو بالقيروان أو بغداد.

وكان من جملة الأمراء الأدارسة الذين شجعوا العلم والعلماء والشعراء الأمير يحيى بن إدريس بن عمر الذي كان فقيها عالما حافظا للحديث، يقصده العلماء والشعراء من كل جهات العالم الإسلامي، وقد كان له مجموعة من الوراقين لا شغل لهم إلا نسخ الكتب. ومن المؤكد أن هؤلاء كانوا يمارسون دروسهم ومهنتهم هذه في جامع القرويين الذي لا يبعد إلا مسافة قريبة عن مسكن الأمير يحيى، وعلى الرغم من عدم توفر أدلة كثيرة على نشاط الأمراء الأدارسة الآخرين في هذا المجال وذلك لقلة الموارد المالية المتاحة لديهم حيث إنهم ثم يكونوا ذوي ثروة تساعدهم على تشجيع الحركة العلمية والأدبية إلى الحد الذي يكثر معه الإنتاج وتنتشر حركة التأليف. لكن نظرة خاطفة على تاريخ الأمويين بالأندلس والعبيدين في القيروان، تدلنا على مدى الحركة الفكرية الواسعة في كل من إفريقية والأندلس في نفس الوقت الذي كان فيه الأدارسة في المغرب، فهل كان المغرب في عهدهم خاليا من الحركة الفكرية الجواب لا يمكن أن يكون بالإيجاب نظرا لما رأيناه من دور جامع القيروان. واهتمام بعض أمراء الأدارسة بالحركة الفكرية .

ويعود السبب إلى قلة ما وصلنا عن أخبار الأدارسة. لاسيما الفكرية منها إلى أن معظم من كتب عنهم من المؤرخين كان متأخرا جدا عن عصرهم. فمن اهم من اشار اليهم هو ابو الحسن علي بن عبدالله الفاسي المعروف بابن ابي زرع وهو ينقل كثيرا عن كتاب تاريخ البرنوسي في دولة الأدارسة الذي ألفه الشيخ أبو عبدالله محمد بن حمادة البرنوسي وهو من المؤرخين المغاربة الذين عاشوا في القرن السادس للهجرة الثاني عشر الميلادي، غير أن كتاب البرنوسي هذا يعد في جملة الكتب المفقودة مع الأسف ولو عثرنا عليه لأمدنا بمعلومات قيمة عن الحركة الفكرية والعلمية. فضلا عن تفصيلات أخرى عن الحالة السياسية في عهد الأدارسة، كما كتب محمد بن يوسف الوراق القروي عن بعض المدن التي عرفت ازدهارا كبيرا في عهد الأدارسة، لاسيما سجلماسة ونكور وفاس والبصرة وأصيلا ، وذلك في كتابه مسالك إفريقية وممالكها، الذي ألفه للحكم المستنصر في الأندلس، وقد فقدت معظم أصول هذا الكتاب كما فقدت أيضا كتبه الأخرى عن

أخبار ملوك شمال إفريقيا وحروبهم باستثناء نقولات قليلة احتفظ لنا بها بعض المؤرخين المتأخرين.

حركة العلوم الدينية:

كانت حركة العلوم الدينية مزدهرة في عهد الأدارسة وابتدأت هذه الحركة بدخول إدريس بن عبدالله إلى المغرب حيث نشر الموطأ بين المغاربة، وكان يؤثر عنه قوله: نحن أحق باتباع مالك بن أنس وقراءة كتابه. وذلك لرواية إدريس للموطأ عن والده عبدالله الكامل. وكذلك فقد ناهض إدريس معتقدات الخوارج في محاولة ناجحة لجمع المغرب كله على كلمة واحدة. ولهذا كان الفضل الأكبر يرجع إلى إدريس الأول الذي استطاع أن يحمل الناس على اتباع آراء عالم المدينة مالك بن أنس، ولم يكن عمل إدريس شاقا في إقناع المغاربة بهذا الأمر ألنه ينسجم مع طبيعتهم التي تحبذ الأشياء الواضحة التي لا يكتنفها الغموض. ولهذا فقد فتحت القروبين عيونها على تعاليم مالك وكانت حلقاتها مجالا واسعا لدراسة آرائه ومناقشة آراء الفقهاء المسلمين الآخرين .

الحركة الأدبية :

فقد عرفت نشاطا البأس به حيث احتفظت لنا المصادر بنبذ قليلة متفرقة منه. فقد عرف عهد الأدارسة معظم أبواب الأدب التقليدية غير أن الشعر السياسي كان طاغيا على الأبواب الأخرى نظراً للصراع القائم بين مختلف الفئات التي كانت موجودة في ذلك العصر.

وكان من بين أمراء الأدارسة عدد كبير من الأدباء والشعراء منهم إدريس الثاني " الذي روي عنه قوله للشعر في مناسبات عديدة. مما يدل على قابلية شعرية جيدة وبلاغة متمكنة ومن الأمراء الآخرين الذين عرف عنهم قول الشعر إبراهيم بن القاسم بن إدريس باني قلعة حجر النسر.

وقد طرق الشعراء في عهد الأدارسة مختلف صنوف الشعر كالشكوى، والمدح والوصف، كما اشترك البربر أيضا في الحركة الأدبية بفضل اختلاطهم وامتزاجهم بالأدارسة، ومن شعرائهم الذين

اشتهروا في هذا المجال سعيد بن هشام المصمودي، الذي قال قصيدة طويلة بعد إحدى المعارك التي خسرها البربر مع والقصيدة تقليد واضح لمعلقة عمرو بن كلثوم وزنا وقافية بالإضافة إلى تقارب المناسبتين مما يدل دلالة واضحة على مدى تأثر البربر بالحركة الأدبية العربية عامة في المشرق والمغرب .

سقوط دولة الأدارسة:

بدأ الضعف ينتشر في دولة الأدارسة خلال فترة خلافة إدريس الثاني؛ وذلك بسبب تشرذم الدولة وتقسيمها بين أبناء الخلفاء، وعلى إثر هذه الأسباب شهدت دولة الأدارسة حالة من الفوضى والاضطراب، وساءت أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية، وهذا أتاح تقويض أعمال الدولة، وفي نهاية الأمر جاءت نهاية الأدارسة على يد الدولة الفاطمية، والدولة الأمويّة الأندلسيّة، وبالتالي سقطت دولة الأدارسة بعد حكم استمر قرابة قرنين من الزمان .

المصادر والمراجع:

١-ابن ابي دينار ، محمد بن ابي القاسم القيرواني ،"المؤنس في اخبار افريقيا وتونس "، تحقيق :محمد شمام، المكتبة العتيقة ،تونس ،١٩٦٧.

٢-أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد)ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت ، ١٩٥٦م.

٣-عبدالواحد ذنون طه،" دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي"، دار المدار الاسلامية ،بن غازي ،٢٠٠٤.

٤-سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية ،١٩٧٩م.